أثر تدبر القرآن

في

صياغة الشخصية المسلمة واستقامتها

د.صالح سنين صالح يعقوب

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد

يجيء هذا البحث متناولًا أثر تدبر القرآن الكريم في صناعة وصياغة الشخصية المسلمة الإيجابية الناهضة بأعباء رسالتها في الحياة ،على أسس وقيم ومرتكزات التدبر الذي هو الغاية من إنزال الكتاب الحكيم . ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ ص: ٢٩.

وقد تناول البحث مسألة التدبر، مستعرضاً مفهومه وقواعده ، ومجالاته وثمرته ، في أربعة مطالب ، ثم فصل القول وبسطه في جانب المرتكزات التي تُبنى عليها الشخصية المسلمة معدداً تلك الأسس التي تمثل في مضمونها ، العلم ،والإيمان ،والعمل ،والقيام بواجب النصرة للأمة تواصيا بالحق وتواصياً بالصبر،وتعاوناً على البر والتقوى، كما استعرض البحث في مكوّنه الثالث سمات الشخصية المسلمة وضرورة الالتزام بتلك السمات والصفات التي هي ثمرة التدبر وغايته ،وكل ذلك تم وفق أهداف وشواهد محددة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح من هذه الأمة مع استنباط العبر والدروس المستفادة وقد تمثّلت أهم تلك الأهداف في الآتي:-.

١-تعميق مفهوم التدبر من خلال ربط الوحي المسطور بالكتاب المنظور.

٢-تأكيد أهمية التدبر في صياغة الشخصية المسلمة .

،وفي ختام البحث تم تحديد النتائج في جملة من النقاط مثّلت أهم محاور البحث وخلاصا ته ثم تلتها التوصيات والفهرست.

هذا..وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدىً وموعظةً وذكرى ، وجعل آياته حجةً ومعجزةً تترى ، تفحم الجاحدين والمشركين ،وتنير بصائر الموحدين ،وتزيد ثبات المؤمنين ، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد قدوة المتقين ،وإمام المرسلين ،ورحمة الله للخلق أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين .

أما بعد.

فإن الله تعالى خلق الإنسان من طين، ونفخ فيه من روحه و كرمه بالعقل وقوّمه وأسجد له الملائكة المقربين، قال تعالى :﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢)** ﴾ص: ٧١ - ٧٢ وقال : ﴿ **۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)** ﴾ الإسراء: ٧٠.وقال سبحانه : ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)** ﴾ التين: ٤.

وقطعاً إن هذا التكريم والإجلال إنما جاء بسبب هذا العقل، ولأجل تلك الغاية العظيمة ألا وهي: العبادة الحقة، والتوحيد الخالص لله الواحد الأحد، ولا عبادة تفوق أو تعدل التدبر قال تعالى :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾ الذاريات: ٥٦.وقال : ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩)** ﴾ ص: ٢٩

فهذا الإنسان قد استحق ذاك التكريم ،وكلف بهذه المهمة ، بسبب العقل الذي مُيّز به عن البهائم ، ثمُ رُكّبت فيه شهوة جعلته دون الملائكة ، فإن غلب عقله، سما وارتقى، وإن غلبت شهوته، انحط وكبا ، ولأجل ارتقائه وسموه وعروج روحه أنزل الله الكتاب المبين هدى ونوراً، يخاطب العقل ويستثير الوجدان وينير القلب بنور اليقين والإيمان .وإن أمر الله تعالى لعباده بالتدبر في آياته المنزلة عن طريق الوحي وهو(الكتاب المسطور) أو آياته المبثوثة في هذا الكون وهو (الكتاب المنظور) مسألة تستوجب من المؤمنين وقفة تأمل ونظر ، وحسناً فعلت هذه الهيئة المباركة بعقدها لهذا الملتقى الفريد، فنرجو الله تعالى أن يبارك جهودها، ويتقبل منها هذا العمل المبرور.

وبالتعمق والتدبر في هذا الكتاب ، نرتقي ونسمو، ونبلغ آفاق الكمال البشري الذي مثّل قمته وبلغ شأوه وغايته قدوتنا و نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ،(فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات ليلة وتوضأ ودخل في الصلاة وبقي يصلي ويبكي حتى آذنه بلال بصلاة الصبح ،قالت فقلت : يا رسول الله علام البكاء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال يا عائشة :أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ولم لا أفعل ؟ وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة :﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾** ﴾ آل عمران: ١٩٠ - ١٩٢.ثم قال :ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)[١]

مشكلة البحث: تتمحور مشكلة هذا البحث في أن أمر التدبر وفقهه صار ضعيفًا ،إن لم نقل غائبًا عند كثير ممن يقرؤون القرآن الكريم اليوم، فأصبح الشغل والهم هو: متى الختمة ؟. ولذلك تأتي الأسئلة الملحة التالية .

أسئلة البحث : تتمثل الأسئلة الرئيسة لهذا البحث في الآتي:-

١-ما القيم التي يجب أن يتحلى أو يتصف بها المسلم ليواجه مشكلات الواقع المعاصر وتحدياته ؟

٢-هل المسلم الحق هو ذاك الشخص الذي يؤدي فقط الفرائض دون استيعاب مضامينها ومقتضياتها؟

٣-ما السبيل إلى استقامة الشخصية المسلمة على المنهج السوي الذي ارتضاه الله لعباده ؟

وتقودنا الإجابة عن تلك التساؤلات إلى الفرضيات التالية :

فرضيات البحث :-

١-التدبر يزيد قدرة المؤمن على استيعاب الخطاب القرآني إقتداءً بالنبي المتدبر.
٢-التدبر يرفع درجة العبد المؤمن ومقامه عند الله عز وجل .
٣-التدبر يعمّق الإيمان ويزكي النفس ويطهر القلب من الرّان .

---

[١] - صحيح ابن حبان ،٢/٣٨٧/برقم٦٢٠

وبالتحقُّق من تلك الفرضيات ،فإننا نخلص إلى أن من أهم وظائف وخصائص الإنسان المؤمن هو: التدبر والتفكر والنظر في آيات الله بشقيها المسطور والمنظور. أما إذا تعطلت هذه القوى التدبرية لدى الإنسان، أصيبت حياته بالخمول والجمود ،وصار مقلداً لا مبتكراً، وتابعاً لا متبوعاً، ومستهلكاً لا منتجاً ،كما هو واقع الأمة الإسلامية اليوم مع الأسف !

لكن: وسط الركام نلتقط الجوهرة اللامعة، وفي دياجير الظلام يبرق الضياء الساطع ، وفي زحام اليأس ينبت الأمل المشرق ، فالأمة رغم كل ما أصابها من ضعف وتمزق، وتيه وحيره، بدأت تنهض من عقالها، وتفيق من سباتها، وتتلمّس طريقها ،وإن التدبر الذي عدّه الله تعالى من جوهر العبادة وصميم الذكر، ها نحن نرى راياته ترتفع وأبوابه تُشرع ،استجابة لداع الله وندائه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ الأنفال: ٢٤.

وأي حياة للأمة أعظم وأسعد من أن تعيش مع القرآن متدبرة له، وعاملة به ،ومستقيمة على هديه ؟.

أهمية البحث :-

ومن هنا وبناءً على تلك المعطيات، تأتي أهمية المشاركة بهذا البحث الذي جاء تحت عنوان (أثر تدبر القرآن في صياغة الشخصية المسلمة واستقامتها) فنرجو أن يحقق المطلوب ،ويكون إحدى اللبنات في بناء صرح الأمة المنشود بإذن الله، وذلك وفقاً للأهداف الآتية :-

أهداف البحث:-

١- تعميق مفهوم التدبر من خلال ربط الوحي المسطور بالكتاب المنظور،حيث إن التدبر في آيات الله يقود إلى شكر آلائه ،وبالتالي تحقيق عبوديته وإظهار عظمته في النفوس .

٢- تأكيد أهمية التدبر في صياغة وصناعة الشخصية المسلمة المرتجاة .

٣- المساهمة الجادة في وضع مشروع نهضة الأمة من خلال التمسك بالقرآن تلاوة وتدبراً وعملاً ، ذلك لأن القرآن تلاوته تعبدية وتدبريه ،وأحكامه عملية واقعية .

٤- بلورة رؤية ثاقبة وموحدة لقيمة التدبر، وذلك من خلال المشاركة الجادة في فعاليات هذا المؤتمر العلمي الأول الذي يتناول هذه القضية المهمة ذات الأولوية القصوى في حياة الأمة .

خطة البحث :-

ويتألف مضمون هذا البحث وخطته من ثلاثة مباحث ، تتفرع عنها عدة مطالب على النحو التالي :

المبحث الأول :-(تعريف التدبر وقواعده وعلاماته ومجالاته ودرجاته وثمرته) .

المبحث الثاني :-(أسس صياغة الشخصية المسلمة على منهج الاستقامة وفقاً لعملية التدبر).

المبحث الثالث :- (سمات الشخصية المسلمة المرتجاة استناداً على إعلاء قيمة التدبر)

ثم تأتي الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته ، والله أسأل أن يسدد الخطى ويلهمنا التوفيق لما يحب ويرضى .

منهج البحث:-

اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي ، وقام بتوثيق الآيات والنصوص القرآنية في صلب البحث وذلك تعظيماً وإجلالاً لهذا الذكر،أما بقية النصوص تم توثيقها بالهامش ،كل صفحة على حداه كما هو مطلوب .

المبحث الأول (تعريف التدبر وقواعده وعلاماته ومجالاته ودرجاته وثمرته)

المطلب الأول :- تعريف التدبر لغة و اصطلاحا .

(أ) التدبر لغة :أصل كلمة التدبر من الفعل الثلاثي (دبر) أو الرباعي (أدبر) وهذا ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣** ﴾ المدثر: ٣٣.كما في قراءة نافع ، وحفص عن عاصم ، وحمزة ، ويعقوب ، وخلف العاشر ، بالفعل الرباعي على وزن(أكرم)

وقوله تعالى أيضاً ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ﴾ بالفعل الثلاثي على وزن (كرم)كما في قراءة الباقين من القراء والرواة[1]وهم: ابن كثير ،وأبو عمرو،وابن عامر ،والكسائي ،وأبو جعفر،والراوي شعبة عن عاصم .

أما في معاجم اللغة فالكلمة لها عدة معانٍ ومدلولات منها على سبيل الإيجاز والاختصار ،لأن التفصيل يندرج تحت المحور المفاهيمي .

- يأتي الدبر بمعنى :(مؤخرة الشيء) لذلك تذكر الكلمة في مقابل القُبل .

قال تعالى : ﴿ **قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧** ﴾ يوسف: ٢٦ - ٢٧

- التدبر بمعنى (الانصراف والذهاب) كما في قوله تعالى :﴿ **وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩** ﴾ الطور: ٤٩. أي عند ذهابها في آخر الليل مع قرب قدوم الصبح ، وكما ورد في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ). ويقال للقوم في الحرب :ولوهم الدبر والإدبار، والإدبار التولية نفسها[2]

---

[1] – الغاية في القراءات العشر – للنيسابوري ص ٢٨٢.-

[2] – العين للخليل بن أحمد ، تاج العروس للفيروزبادي . مادة :(دبر)

- التدبر بمعنى (النظر في عواقب الأمور) وهذا لعله من الدلالات المجازية كما جاء في تاج العروس ، قال جرير :

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم *** ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

(ب) التدبر اصطلاحاً :

- هو: التفكر والتأمل في عواقب الأمور ومآلاتها والنظر فيها بوجه يوصل إلى دلالات الكلم ومراميه البعيدة .
- أو هو: التفكر باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلى معان جديدة يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية ،وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك [1] .
- والتدبر: النظر في مآل الشيء والتفكر في عاقبته ، وقد استعمل في كل تأملٍ يقع من الإنسان في حقيقة الشيء أو أجزائه أو سوابقه أو لواحقه أو أعقابه .
- وتدبر الأمر: تأمله ونظر في أدباره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه ، فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه ، وتبصر ما فيه ،[2] .

المطلب الثاني :- قواعد التدبر وعلاماته .

تمهيد : يلاحظ المتأمل والناظر إلى كلمة (التدبر) التي وردت في السياق القرآني أن هناك آيتين نزلتا في الحديث عن النفاق والمنافقين تقريعاً وتوبيخاً لهم ،وهما قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾** ﴾ النساء: ٨٢ وقوله : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾** ﴾ محمد: ٢٤ ، وآيتين أُخْرتين في سياق مخاطبة المشركين وهما قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾** ﴾ المؤمنون: ٦٨ ﴿ **كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾** ﴾ ص: ٢٩ ، ولكن الملاحظ أيضاً أن في آية سورة (ص) قراءة أخرى بالتاء (لتدبروا آياته) [3] ترجّح احتمال شمولية الخطاب ، ولا يعني البتة أن هذه الآيات الأربعة في تلك السياقات يفهم منها أن التدبر ليس مطلوباً من المؤمنين ،بل هم المعنيون به حقاً والأجدر والأحرى بهم أن يتدبروا كتاب ربهم ويتأملوا ويتفكروا في عظمة مخلوقاته وبديع صنعه المتقن .

وبعد هذا التمهيد، أدلف إلى بيان قواعد التدبر وعلاماته التي ينبغي للمؤمن أن يعيها ويفهمها حتى يعيش أجواء التدبر وفقا لهذه القواعد.

---

[1] - انظر :مفاتح تدبر القرآن ، د. خالد اللاحم، ص٢١

[2] - انظر: روح المعاني للألوسي . ٥/ ٩٢ .- والكشاف للزمخشري ١/ ٥٤٦ .

[3] - هي قراءة الإمام أبي جعفر المدني من القراء العشر،انظر :النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٦١

(أ) قواعد التدبر وهي :-

أولاً: الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية والبيانية ، لكون القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ولسانهم ، قال تعالى :﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥ ،وقال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) ﴾ يوسف: ٢ ، ولغة العرب من الدين كما ذكر الإمام ابن تيمية في فتاويه .[1]

ثانياً : الوقوف على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان ودراستها وذلك لما فيها من المشاهد والمواقف والدروس والعبر التي تعين المتدبر وتعطيه النموذج العملي ،والمعلوم أن النبي الكريم كان الترجمان الحقيقي لهذا القرآن ،بل كان خلقه القرآن كما جاء في الصحيح ، فهو المبيّن لمجمله والموضح لمشكله والمطبق لأحكامه ،قال تعالى :﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ﴾ النحل: ٤٤ .لذلك فإن دراسة السيرة أحد أهم القواعد والمعينات لتدبر كلام الله عز وجل .

ثالثا : معرفة أسباب النزول ،من خلال دراسة كتب التفسير بمدارسه المختلفة من فقهية ولغوية وإشارية ، ذلك لأن كثيراً من الآيات مرتبطة بوقائع ومناسبات وأحداث شملت في كثير من جوانبها بعض ما تعانيه الأمة من تحديات وما تواجهه من مؤامرات ،فمثلاً إذا أخذنا الآيات التي تتحدث عن هزيمة المسلمين في معركة أحد : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ آل عمران: ١٣٩ ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٠) ﴾ آل عمران: ١٤٠ وقوله تعالى عن المنافقين بُعيد غزوة بني المصطلق : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) ﴾ المنافقون: ٨.

إذا تأملنا تلك الآيات وفق معرفتنا لأسباب النزول نجد أن القاسم المشترك في عملية الكيد والتآمر هو عنصر النفاق والمنافقين ، فهم دائماً وأبدا ينسجون خيوط المكر ويحيكون العداء للصف المؤمن من خلال المعية والوجود داخل الجماعة ، ويعملون فيها خذلاناً وغدراً وتدميراً، ولكن الله عز وجل يفضحهم ويحبط مخططهم ويكفي المؤمنين شرهم كما ورد في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) ﴾ الأحزاب: ١٢ - ١٣.

---

[1] – انظر :فتاوى بن تيمية ١٤٦/٣

وقال : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ الأحزاب: ١٩.

ومن هنا تبرز أهمية هذه القاعدة في عملية التدبر، وإذا ما طبق قارئ القرآن هذه القواعد الأساسية أدرك القيمة الحقيقية لعلاقته بكتاب ربه وظهرت عليه علامات التدبر ومن ثم انعكست على سلوكه وحياته وبالتالي حصل له التغيير المنشود بإذن الله عز وجل، قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد: ١١.

(ب)علامات التدبر وآثاره .

إن للتدبر آثارا كبيرة على الإنسان المسلم ،وهو من أهم الوسائل للارتقاء بالفرد روحياً وسلوكياً ،ونفسياً، وخلقياً، والتدبر يعد أحد أهم الركائز والوسائل في صياغة وصناعة الشخصية المسلمة المستقيمة، إذ إن المتدبر يعتبر بالقصص القرآني ،ويوقن بالإخبار الغيبي، وينصاع لحكم الله في حياته وواقعه ،بعكس ذلك الذي لا يتدبر.

إذن فما هي تلك الآثار والعلامات على وجه الدقة والتحديد ؟

أولها: التأثر والبكاء من خشية الله ،قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ مريم: ٥٨ .وقال:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ المائدة: ٨٣

ثانيها: حضور القلب والعقل والتوقف عند المعاني :قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ الفرقان: ٧٣

وقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣

ثالثها: زيادة الإيمان والطمأنينة والخشية ،قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢

رابعها: الفرح والاستبشار عند آيات الوعد والنعيم والرضوان رجاءً لما عند الله .

خامسها: الخوف والمهابة عند آيات الوعيد والعذاب المهين والخسران .لأن المؤمن الصادق يعيش دائماً بين الخوف والرجاء، فلا ييأس من الرحمة وإن قصّر ولا يغتر بعمله وإن أحسن .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١)** ﴾ المؤمنون: ٥٧ - ٦١

سادسها: السجود والخضوع والذلة تَهَيُّباً لعظمة الله وإجلالاً لشأنه جلّ وعلا ، فإن من لم يعظم الله ويسجد له هنا ، لن يستطيع السجود له هناك .

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)** ﴾ القلم: ٤٢

المطلب الثالث :مجالات التدبر ودرجاته .

(أ) مجالات التدبر .

إن مجالات التدبر لا تكاد تحصى ،لأن هذا الكتاب هو كلام الخالق الذي لا يُحاط علمه ، ولا يدرك سعة ملكه وملكوته مخلوق ،لذلك فعلى المؤمن أن يبذل وسعه وطاقته في التقرب إلى الله بهذه العبادة ،فنحن لن نستطيع حصر تلك المجالات لأنها غير محدودة وهي بسعة ملك الله وعلمه ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ** ﴾ البقرة: ٢٥٥.وقال : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)** ﴾ لقمان: ٢٧

وقال سبحانه : ﴿ **سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)** ﴾ فصلت: ٥٣

ويكفي أن نعلم أن آيات الله الكونية فقط تبلغ (ألفاً وثلاثمائة آية كونية)،فضلاً عن آياته التكوينية وهي أفعاله ،ثم آياته في قرآنه وهو كلامه [١] ،ويمكن القول بعد هذه الإشارات ،أن مجالات التدبر، تتلخص في الآتي :

أولاً : التركيب القرآني نسيج وحده .

إن التركيب القرآني جاء بلغة العرب لكنه اتسم بتفردٍ عجيب ، يقول الدكتور مصطفى محمود واصفاً هذا الأسلوب الفريد للقرآن:(وتقتحم عليّ العبارة القرآنية سكون طفولتي فأتذكر في ظلام الليل إلقاء الشيخ وهو يردد : ﴿ **وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢٠)** ﴾ القصص: ٢٠ ،

---

[١] - سلسلة محاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي على الأنترنت— قناة اليوتيوب .

فتسعى العبارة إلى خيالي وكأنها مخلوق حي مستقل يسعى ، له حياته الخاصة ، وهذا سر من أعمق الأسرار في التركيب القرآني ، إنه ليس بالشعر ، ولا بالنثر ، ولا بالكلام المسجوع ، وإنما معمار خاص وتركيب متفرد من الألفاظ صُفّت بطريقةٍ تكشف عن إعجاز لا يدركه إلا المتدبر، ويمضي قائلاً: (وإن الكلمات لتذوب وتصطف وتتراصّ في معمار ورصف هو نسيج وحده بين كل ما قيل أو كُتب بالعربية سابقاً ولاحقاً) – إلى أن يقول مرة أخرى– (تأمل قوله تعالى : ﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ** (٦٦) ﴾ طه: ٦٦ ﴿ **فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ** (٢٠) ﴾ طه: ٢٠

ما الفرق بين السعيين ؟ هذا مجال من مجالات التدبر والنظر ، فالمتأمل يدرك أن السعي الأول سعي الحبال التي تخيّل للناظر أنها حيات حقيقية وهي في الواقع ليست كذلك وإنما هو مجرد تخيل !

أما السعي في الآية (٢٠) فهو سعي حقيقي ،فإن عصا موسى عليه السلام صارت حيّة حقيقية وابتلعت حيات الخيال السحري ،قال تعالى : ﴿ **فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ** (١٠٧) ﴾ الأعراف: ١٠٧ ،فما أروع هذا الإعجاز وما أجمل هذا التركيب للمفردة القرآنية)[١]

والمتأمل في هذه القصة التي وردت في سياق الصراع بين الحق والباطل ،الحق الذي يمثله سيدنا موسى عليه السلام ، وقد ذكر اسمه: (مائة وعشرين)[٢] مرة في الكتاب العزيز، وبين الباطل الذي يمثله فرعون ،يدرك مدى أهمية التدبر، فهذه القصة التي تكررت مرات عديدة أعطتنا مؤشرا ونموذجا لصمود الحق أمام الباطل حتى أذن الله بالنصر والفرج ،قال تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** (٦٣) **وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ** (٦٤) **وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ** (٦٥) **ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ** (٦٦) **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ** (٦٧) ﴾ الشعراء: ٦٣ - ٦٧

ثانياً: النفس البشرية وأسرارها .

إن النفس البشرية هي أحدى أهم مجالات التدبر، وذلك لما تنطوي عليه هذه النفس من أسرار وعجائب ،فالنفس كلمة تطلق ويراد بها الإنسان بما اشتمل عليه من روح وجسد، وهي المخاطبة بالتشريع في القرآن ،وهي المأمورة والمنهية والمكلفة والمحاسبة ،ولأهمية النفس فإن الله تعالى أقسم بها ضمن ثمانية أشياء في سورة واحدة ،قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** (٧) **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** (٨) **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** (٩) **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** (١٠) ﴾ الشمس: ٧ - ١٠ وقد ذكرت (مائتان وخمسة وتسعون)مرة في القرآن[٣]، والنفس البشرية ليست فقط لحماً ودماً وأعصابا وشرايين وخلايا بآلاف الملايين

---

[١] – انظر: القرآن محاولة لفهم عصري ص ٩-١١،د.مصطفى محمود .

[٢] – انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

[٣] – انظر :المصدر السابق.

ولكنها فوق ذلك مشاعر وأحاسيس ، قلب ينبض ،وعقل يفكر، ونفس تسمو بالاستقامة، وقد أودع الله فيها من الأسرار ما لا يعلمها إلا هو قال تعالى :﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ الذاريات: ٢١ وقال تعالى بعد أن بيّن نشأة النفس وتكوينها :﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٤) ﴾ المؤمنون: ١٤

فانظر أيها الإنسان كيف أن الله تعالى أخبرك بأنه خلقك من سلالة من طين ،ثم قال لك ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾

يقول ابن العربي :(ليعرّفك أن الشرف للتربية لا للتربة)[1].

ثالثاً: النبوءات والغيبيات .

(أ) لقد أخبر القرآن عن مصرع المشركين وهزيمتهم في غزوة بدر قبل وقوعها ،قال تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ (٤٥) ﴾ القمر: ٤٥

(ب) وأخبر عن فتح مكة قبل حدوثه ، ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) ﴾ الفتح: ٢٧

(ج) كما أخبر مؤكداً انتصار الروم بعد هزيمتها من الفرس قال تعالى:﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) ﴾ الروم: ١ - ٦ ، والبضع هو ما دون العشرة وفوق الثلاثة وقد حدث أن انتصرت الروم بعد سبع سنوات فقط من هزيمتها. إنه وعد الله الحق الذي لا يخلف الميعاد .

(د) وعد إسرائيل بالفساد في الأرض مرتين .

وها هي ذي إسرائيل تعلو في الأرض وتعيث فسادا وتصول وتجول طغياناً واستكبارا وتحلم باجتياح العالم الإسلامي والعربي في مشروعها العدواني الاستيطاني – إسرائيل من النيل إلى الفرات – ولكنه أملٌ مكذوبٌ وعلوٌ مؤقت وإلى زوال ، قال تعالى:﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) ﴾ الإسراء: ٤ ويحدد الله مصيرهم فيؤكد:. ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (٨) ﴾ الإسراء: ٧ - ٨.

---

[1] – انظر :قانون التأويل ،ص/ ٤٥٨/للقاضي أبوبكر بن العربي .

•وهنا نطرح سؤالاً يتعلق بالغيبيات و عالم الأجنة والأرحام .

سئل الدكتور مصطفى محمود ذات مرة :هل الإنسان يمكنه علم الغيب ؟ وجاء في قول السائل :إن الله تعالى انفرد بعلم الغيب كما جاء في القرآن ،ولكن العلم الآن يستطيع أن يعرف نوع الجنين في رحم أمه ذكراًكان أم أنثى من التحليل المعملي للدم أو البول ،ومن السائل الأمنيوسي ،وأحياناً بمجرد صورة أشعة يستطيع الطبيب أن يحدد على وجه القطع والجزم جنس الجنين ؟! فكانت الإجابة

(علم ما في الأرحام الذي ورد في الآية القرآنية هو: أن يعلم الله تاريخك وقدرك وقصة حياتك كلها وأنت ما زلت مضغة في رحم أمك ، وليس أن يعلم فقط جنسك ذكراً أم أنثى ،وكون الإنسان ذكرا أو أنثى في بطن أمه هذه مسألة جزئية بسيطة جداً لا أهمية لها ، و ليست هي المقصود بالعلم الإلهي لما في الأرحام ، فعلم الله تعالى علم واسع شامل محيط، وهو الذي علّم الإنسان كيف يحدد النوع بتلك الأجهزة الحديثة [1].

قال تعالى :﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء: ١١٣.

(هـ) الزمان الأزلي والزمان الفاني .

لقد تناول القرآن الحياة الدنيا بمتقلباتها وتفاصيل حركتها ومحدودية أجلها وهي تمثل الزمان الفاني، فالدنيا منذ خلقها الله إلى أن يطوي سماءها كطي السجل للكتاب لا تمثل إلا قدراً محدوداً من الزمن ،لذلك الإنسان فيها محدود العمر ،محدود الإدراك والمعرفة ،محدود الرزق ،فكل شيء في الدنيا مؤقت وإلى زوال ،قال تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يونس: ٢٤.

أما الزمان الأزلي فهو الزمان السرمدي الباقي ببقاء الله الواحد قيوم السماوات والأرض لا يتبدل ولا يفنى ،إنه زمان الآخرة، وهو الزمان الذي يتحدد فيه مصير الخلق بحسب كسبهم وعطائهم في الزمان الفاني .

إن الزمان الأزلي كل شيء فيه مختلف ، العمر فيه ممدود، والنعيم فيه بلا حدود والعطاء غير مجذوذ ، هذا للسعداء أهل الإيمان والكسب الخالص ، قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ هود: ١٠٨.

أما الأشقياء أهل الشرك والكسب الخبيث فمصيرهم محدد كذلك : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ هود: ١٠٦ - ١٠٧.

---

[1] ١ – انظر:القرآن محاولة لفهم عصري ،د. مصطفى محمود ،ص ٢٥٩

هذا الزمان بشقيه – الفاني والأزلي – تناوله القرآن الكريم بأسلوب وتفصيل يستوجب من الإنسان المؤمن التدبر الوقوف عنده كثيراً ،حتى يستدرك ما فاته ويستعد لحياة الأزل والبقاء الأبدي السرمدي ،قال تعالى : ﴿ **وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤** ﴾ العنكبوت: ٦٤.

(ب) درجات التدبر.

لاشك أن التدبر ليس كله على مستوى واحد ، فهو درجات ومراتب يرتقي فيها المؤمن المتدبر حتى يبلغ مراده وغايته وهو مرضاة الله عز وجل ، ويمكننا تلخيص تلك المراتب والدرجات في النقاط التالية :

•التفكر والنظر والاعتبار.

المؤمن لا يمر على الآيات مروراً عابراً فهو وقّاف ومتأمل ومعتبر، يقلّب النظر ويمعن الفكر، قال تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩** ﴾ البقرة: ٢١٩ ،وقال :﴿ **وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١** ﴾ البقرة: ٢٢١

وإن من أجمل ما قيل في هذا المعنى كلام ابن الجوزي:(أن الله تعالى قد صنف هذه المخلوقات فأحسن التركيب وأحكم الترتيب ، ثم عرضها على الألباب، فأي لب أوغل في النظر مُدح على قدر فهمه فأحبه المصنف ،وكذلك أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحكم ،فمن فتّشه بيد الفهم وحادثه في خلوة الفكر، استجلب رضا المتكلم به ، وحظي بالزلفى لديه) [١]

• الاستجابة والخضوع .

إن المتدبر يستجيب بعد الفكر والنظر، فيطيع الله ويغض البصر، ولسانه يلهج بالشكر، لأنه رزق الهداية ووُفّق إلى مرضاة الله عز وجل يقول الإمام القرطبي:(فإن من أوتي علم القرآن فلم ينتفع ،وزجرته نواهيه فلم يرتدع ،وارتكب من الإثم قبيحاً ،ومن الجرائم قصداً، كان القرآن حجة عليه، وخصماً لديه، [٢] وجاء في الصحيح : (القرآن حجة لك أو عليك) [٣]

• استخراج الحِكم واستنباط الأحكام

حِكم القرآن وأحكامه درجة من درجات التدبر لا يبلغها إلا العالمون ،فهي بذلك مرتبة العلماء ومنزلة الفقهاء، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله " فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير

---

[١] – انظر : صيد الخاطر، لابن الجوزي ص-٩١.

[٢] – الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ٢/١

[٣] – رواه مسلم برقم :٢٢٣ ،

ذلك وطلبه من مظانه ،وتعلم ذلك وتعليمه ،كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ آل عمران: ١٨٧
فقد ذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله ، فعلينا نحن المسلمين أن نحذر ما ذمهم الله به ،وأن نأتمر بما أمرنا الله به من تعلم الكتاب المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه)[1]

المطلب الرابع :- ثمرات التدبر .

إن أي نشاط أو عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة يرغب أن يجني ثمرته ويحصل على نتيجته ،فطالب العلم يريد النجاح والتفوق ،والتاجر يريد الزيادة والربح ،والمزارع يريد الإنتاج الوفير والمحصول الكثير ، والمتزوج يريد الولد ،وهكذا الحياة.....

أما الغاية الكبرى التي يسعى إليها المؤمن في نهاية مطافه هو أن يجني ثمرة عمله الصالح في الدنيا، رضواناً من الله وجنة عرضها السماوات والأرض ،قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥.

فما هي ثمرة تدبر القرآن الكريم التي يجنيها العبد المؤمن وهو يتلوا كتاب ربه آناء الليل وأطراف النهار، في صلاته وحلقات مدارسته وتعلمه ،وفي حله وترحاله ؟
يمكننا أن نبين تلك الثمار من خلال الإشارات الآتية :

- **حصول الهداية والرحمة واليقين في القلب .**

قال تعالى :﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الجاثية: ٢٠ ،فمن تدبر القرآن تفتحت بصيرته ،واهتدى الى الحق ،وتنزلت عليه الرحمة والسكينة كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم :(وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ،ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ،وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)[2] فتدبر القرآن من ثمرته حصول اليقين التام بتلك المعاني ،والقرآن كالماء العذب ،والقلب كالشجرة لا تستطيع أن تعيش وتنمو إلا بسقي الماء ،فالقلب كلما تفكر وتدبر في معاني كلام الله حصل له الري والشبع والنمو والاستقرار والهدوء والسكينة والثبات والسمو، ولما علم الله تعالى حاجة القلب إلى هذه المعاني جاء بهذا القرآن فيه القصص

---

[1] – تفسير ا كثير ١ /٢

[2] – رواه مسلم ،٤/٢٠٧٤/برقم٢٦٩٩،وأورده النووي في رياض الصالحين برقم :١٠٣٠

والأخبار والفرائض والأحكام ،والوعد والوعيد والغيب والشهادة حتى يعيش القلب المتدبر حياة لا تموت [١]

• زيادة الإيمان.

ومن ثمرات التدبر: زيادة الإيمان لأهل القلوب السليمة ،لأن صاحب القلب المريض لا ينتفع بقرآن ولا يزداد إيماناً ،قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (١٢٥) ﴾ التوبة: ١٢٤ - ١٢٥ ،فالمؤمنون يزدادون إيماناً بسبب تدبرهم وفهمهم لهذه الآيات واعتقاد ما فيها من الخير، والرغبة في الزيادة من هذا الخير مع فرح وسرور واستبشار ، أما الصنف الآخر وهم المنافقون ومن في قلوبهم مرض فيتساءلون في عمهٍ واستغراب أيكم زادته هذه إيماناً؟ فلا يرون في هذه الآيات زيادة إيمان ،بل هم في شك وحيرة وتردد وعمى، لأن القلوب مقفلة كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ (٢٤) ﴾ محمد: ٢٤.

• الشفاء من الأمراض ودفع الشبهات .

فالقرآن شفاء ودواء بلا شك ولا مراء وهذا أمر محقق ومؤكد فمن تدبره وعاش معه نال المراد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٤٤) ﴾ فصلت: ٤٤.

• التعلق بالآخرة والشوق إليها.

فمتدبر القرآن يشتاق إلى الله ويتوق إلى لقائه والفوز بنعيمه ورضوانه فهو زاهد في هذه الحياة ،وإن ملك من متاعها ما ملك لأنها زائلة، ومتاع الآخرة خير وأبقى ،قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ طه: ١٣١.

قال إمام التابعين الحسن البصري رضي الله عنه :(يا ابن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك ،وليشتدن في الدنيا خوفك ،وليكثرن في الدنيا بكاؤك ،[٢]

وأورد الإمام بن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر :(همة المؤمن متعلقة بالآخرة فكلما في الدنيا يحركه ذكر الآخرة ، فإذا رأى ظلمة الليل ذكر ظلمة القبر ، وإن رأى مؤلماً ذكر العقاب ،وإن سمع صوتاً فظيعاً ذكر

---

١ – انظر:مفاتح تدبر القرآن ،د.خالد اللاحم ،ص ٢١.

١ – انظر : الزهد لابن المبارك ص ٢٣٢.

نفخة الصور، وإن ذكر الناس نياماً ذكر الموت في القبور، وإن ذاق لذةً ذكر الجنة ،فهمته متعلقة بما ثَمّ ،وذلك يشغله عن كل ما تم).[١]

• الاعتصام بالله وتأليف القلوب .

من تدبر القرآن عرف قيمة الوحدة والاعتصام وأدرك خطر الفرقة والانقسام ،قال تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ ﴾ آل عمران: ١٠٣

• الإحساس بالأمن والطمأنينة.

حلاوة الإيمان تُتَذوق باليقين والصبر، وثمرة التدبر تُجنى بالإخلاص والصدق، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ الأنعام: ٨٢.

• الشعور بالرضا والقناعة

والرضا منحة وهبة إلهية للعبد المتدبر لكلامه وهي منزلة من المنازل – كما يقول ابن القيم في المدارج – وكذا القناعة ،ويكون الرضا بالله وبدينه ورسوله أولاً، ثم الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى للعبد من رزق ومتاع في هذه الحياة ليلقى رضا الله عنه في الآخرة، [٢]قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ الفجر: ٢٧ - ٣٠

وقال صلى الله عليه وسلم :(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ،وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)[٣].

المبحث الثاني :– (أُسس صياغة الشخصية المسلمة على منهج الاستقامة وفقاً لعملية التدبر).

أولاً قبل الولوج في خضم هذا المبحث الذي يشكل واسطة العقد في ترتيب هذا البحث يجدر بي أن أقف على تعريف وتوضيح بعض المصطلحات التي تتعلق بمفردات هذا المبحث وهي :(الشخصية ، المنهج ،الاستقامة)ثم أدلف الى الأسس والأركان التي لا تقوم الشخصية المسلمة إلا بها .

مفهوم الشخصية .

---

٢ – انظر:صيد الخاطر،لابن الجوزي ص ٣١٥

١ – انظر :تهذيب مدارج السلكين ص ٣٦٣

٢ – رواه: مسلم ،٤٦/١/برقم ١٢– باب ذاق طعم الإيمان .

- أما الشخصية في مفهومها العام فهي : مجموع استجابات الفرد لمختلف المؤثرات والمواقف ، وهي أسلوب الفرد في التعامل مع البيئة والمجتمع ، ويعرفها البعض الآخر بأنها التنظيم الشخصي الذي يجتمع فيه عقل الفرد وجسمه ومزاجه ومهاراته وخُلقه واتجاهاته ، والذي يحدد توافقه مع البيئة ، ويتميز به دون غيره [١]،هذا مفهوم عام لمصطلح الشخصية أما إذا أخذنا ها من المنظور التأصيلي فهي :

. الشخصية المتميزة بالعقيدة الإسلامية التي تؤمن بها. وتخالط شغاف قلبها، وتمتزج بأحاسيسها، فتعيش من أجلها، وتجعل حياتها وقفاً عليها، إذ لا قيمة للحياة بدون عقيدة. والعقيدة لدى المسلم هي المعيار الأساسي للعمل. فأي عمل لا ينبعث من العقيدة لا قيمة له في ميزان الإسلام مهما كان جليلاً نافعاً يعود على البشرية بالخير﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾** ﴾ التوبة: ١٧ - ١٨. وهي شخصية متميزة بسلوكها ، تقف عند حدود الإسلام وشرائعه، عبادة ومعاملة وأخلاقاً ،لا تجامل ولا تداري ولا تماري ولا تدع لأي ضغط اجتماعي فرصة للتأثير عليها، ولا تتهاون في شيء من قيمها، وهي شخصية تعتز بمقوماتها من غير كبرياء، فلا تلين ولا تضعف، ولا تذوب في أي بيئة تعيش فيها، أو مجتمع يضمها، إنها شخصية تؤثر في غيرها، ولا يؤثَّر عليها إلا إيجاباً، وتستفيد من مورد كل خير وتغرف من كل نبع فيه حكمة(فالحكمة ضالة أنى وجدها فهو أولى بها المؤمن)[٢].

مفهوم المنهج .

- أما مفهوم المنهج ، فهو الطريق الموصل إلى الغاية ،وغاية المؤمن هي مرضاة الله عز وجل ومنهجه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.قال تعالى :﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾** ﴾ المائدة: ٤٨.

مفهوم الاستقامة.

---

٣ – المؤسسات التربوية ودورها في تكوين الشخصية السوية ص ١،أ .الجميل محمد عبد السميع .

[٢] – صحيح الترمذي ٥٢/٥– برقم ٢٦٨٧– وبن ماجة ١٣٩٦/٢/برقم ٤١٦٩

- وأما الاستقامة فهي الثمرة لكل ما تقدم من شرح وبيان وتفصيل ،فالإنسان إن لم يستقم على قناعاته وعقيدته فلا فائدة من علمه ولا من كسبه ،إذ الاستقامة هي الترجمة السلوكية لكل ما يحمله المرء من قيم ،إذن فما مفهومها ؟

وللإجابة عن ذلك أقول : إن الاستقامة تعرف لغة بأنها :(قيمة الشيء) يقول بن منظور في لسان العرب :(تقول أقمت الشيء وقومته فقام أي استقام ،ومنه قوله تعالى (فيها كتب قيمة) أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان)[1]

والله تعالى قد أمرنا بالاستقامة في أكثر من موضع في الكتاب المبين فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ⑥ ﴾ فصلت: ٦ ،وبشر المستقيمين وأثنى عليهم قائلاً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ㉚ ﴾ فصلت: ٣٠ ، بل أمر نبيه بها مع أنه مغفور له وولد مستقيماً وأرسل بمنهج الاستقامة ،قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾ هود: ١١٢.

وبالاستقامة يعيش المؤمن عزيزاً شامخاً مستعلياً بمبادئه لا يرتضي الهوان والذلة، ولا يهاب كيد الظالمين ،قال الشاعر:

نحن صممنا وأقسمنا اليمين *** أن نعيش أو نموت مسلمين
مستقيمين على الحق المبين *** متحدّين ضــلال المبطلــين
جاهدين أن يسود المسلمون *** مسلمون مسلمون مسلمــون[2]

وبعد توضيح هذه المفاهيم الثلاثة وبيان مدلولاتها حريٌ بي أن أقف على الأسس التي تُبنى عليها تلك الشخصية المسلمة المرتجاة ،فأقول : إنها خمس أسس : تمثّل جماع الدين وقواعده، وقد وردت ثلاثة منها في سورة تحمل ثلاث آيات هي سورة العصر.

قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ③ ﴾ العصر: ١ - ٣.

وقد لخصت هذه الأسس في خمس نقاط رئيسة كما يلي :

١-العلم النافع .

---

[1] ١ - انظر: لسان العرب :مادة (قوم)ط ٣، ٤٩٦/١٢،

[2] ٢ - انظر:نفحات ولفحات(شعر)ص،١١٥يوسف القرضاوي ط١-٢٠٠١م.

٢-الإيمان الصادق .

٣-العمل الصالح المخلص .

٤-التواصي بالحق والتواصي بالصبر .

٥- التعاون على البر والتقوى.

ولابد لي قبل شرح هذه الأسس أن أقف وقفة تأمل وتدبر مع سورة العصر التي قال أحد السلف فيها: (إن الله تعالى لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس حجة).[1]

ففي هذه السورة القصيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام ،وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة ،إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار وتصف للأمة المسلمة حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة ،هي الآية الثالثة من السورة ، وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

وإن الحقيقة الضخمة التي تصورها وتقررها هذه السورة بمجموعها هي تلك الأسس – التي سنتناولها بالتفصيل والشرح – ، فقد كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة (العصر) ثم يسلم أحدهما على الآخر ، لقد كانا يتعاهدان على هذا الدستور الإلهي ،يتعاهدان على الإيمان والإصلاح ، وعلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر ،وعلى حراسة هذا الدستور ، وعلى أنهما من الأمة القائمة على هذا الدستور)[2] .

وحان الآن لنضع المؤشر على تلك الأسس الخمسة التي تصيغ وتصنع الشخصية المسلمة المرتجاة وفق عملية التدبر ،وأولها على الإطلاق :

•**العلم النافع** ، وهو العلم الذي به يعبد الله، و تعمر القلوب ، وتنصلح الحياة في الدارين ،وتتقدم الأمم والشعوب ،وبالعلم يكتسب الإنسان قيمته وترتفع درجته ،قال تعالى :﴿ **يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١** ﴾ المجادلة: ١١.

وقد جعل الله أهل العلم والملائكة سواء في الشهود والإقرار بوحدانيته : ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨** ﴾ آل عمران: ١٨ ،والعلم يتفرع الى أنواع كثيرة ولكن ملخصها في علمين اثنين .

---

[1] – القول منسوب للإمام الشافعي رحمه الله .

[2] – انظر:في ظلال القرآن،٣٩٧١/٦،سيد قطب .

•علم بالله ،وهو أفضل العلم وأعظمه ويتعلق بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وهو الذي يقود صاحبه إلى الصراط السوي كما قال تعالى على لسان خليله عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة و السلام : ﴿ **يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾** ﴾ مريم: ٤٣

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً على الجنة ،وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ،وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ،وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ،وإن العلماء ورثة الأنبياء ،وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ،فمن أخذه أخذ بحظ وافر[1]).

• العلم بشرع الله وأحكامه ،وما يدور في ملكه وبديع صنعه ، ويندرج تحت ذلك كل ما ينفع الإنسان ويقوده على إعمار دنياه وإصلاح دينه ،

وهذا العلم يحتاج تحصيله إلى الصبر، والجد ،والمثابرة ،والإخلاص ،والتقوى، قال تعالى ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾** ﴾ البقرة: ٢٨٢.

وقال الشاعر :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ** فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ** ونور الله لا يُهدى لعاصي .

وقيل أيضاً :

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ ** سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة ** وصحبة أستاذ وطول زمان[2].

•الإيمان الصادق.

إن الإيمان هو الدافع المحرك لطاقة الإنسان في هذه الحياة ، ويجني ثمرته ثواباً ورضوانا من الله يوم الجزاء ، والإيمان أمر كسبي ينقص بالمعاصي و يزيد بالطاعات ،ويقوى بالتدبر.

يقول الشهيد سيد قطب :(إن الإيمان في حقيقته هو اتصال هذا الكائن الإنساني الفاني الصغير المحدود بالأصل المطلق الأزلي الباقي الذي صدر عنه الوجود، ومن ثم اتصاله بالكون الصادر عن ذات المصدر، وبالنواميس التي تحكم هذا الكون ،وبالقوى والطاقات المذخورة فيه ، والانطلاق حينئذ من حدود ذاته

---

[1] ١ – رواه الترمذي ،٤٨/٥–برقم ٢٦٨٢،تحقيق أحمد شاكر.

[2] ٢ – انظر :ديوان الإمام الشافعي ص٥٤و٨١.ط دار الجيل بيروت

الصغيرة إلى رحابة الكون الكبير ،ومن حدود قوته الهزيلة إلى عظمة الطاقات الكونية المجهولة ،ومن حدود عمره القصير على امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله .)[١]

والإيمان صدق ويقين وإخلاص واتصال ، وأنس ومحبة وذوق، يحسه ويلمسه المتدبر للقرآن الكريم والمتأمل المتفكر في الكون الفسيح ،قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ } الحجرات: ١٥.

وإن القلب المتصل بالله تعالى عبر التدبر لكتابه يمنحه هذا الاتصال قوة وامتداداً وانطلاقاً إلى آفاق أرحب وأعمق ، ويمنحه إلى جانب ذلك متعة بالوجود وما فيه من جمال ،ومن مخلوقات تتعاطف أرواحها مع روحه ، فإذا الحياة رحلة في مهرجان إلهي مقام للبشر في كل زمان وفي كل أوان ،وهي سعادة رفيعة وفرح نفيس ، وأنس بالحياة والكون كأنس الحبيب بالحبيب ، وهو كسب لا يعدله كسب ، وفقدانه خسران لا يعدله خسران [٢]

والمتدبر عبادته وصلته بالله عن يقين وإيمان راسخ، لذلك فهو يربح ولا يخسر بعكس غير المتدبر كما قال عنه الحق سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١.

- **العمل الصالح المخلص .**

والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان الصادق ،وهو الحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب ،وإن العمل الذي يجد صاحبه الأجر والثواب عند الله تعالى لا بد أن يتحقق فيه شرطان .

١-**الإخلاص لله وعدم الشرك والرياء** : فأي عمل ليس القصد منه وجه الله تعالى لا يؤجر عليه العبد ، بل يؤجر على النية الخالصة وإن لم يتم تنفيذ العمل ،لأن الأعمال بالنيات والعبرة بالمقاصد ،فإن صح المقصد ثبت الأجر والعكس صحيح .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ وقال : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣ ،ولأن العمل عبادة ،فقد أمر الله تعالى فيه بالإخلاص .قال تعالى :﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥

---

[١] – في ظلال القرآن، ٦/ ٣٩٦٥،سيد قطب.

[٢] – المصدر السابق ،الصفحة نفسها.

٢-الإتباع لا الابتداع في أمور الدين ،بمعنى موافقة العمل للشرع ،فالمؤمن مأمور في أعماله الدينية باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم ،ودون ذلك الزيغ والضلال ورد الأعمال ، كما جاء في الصحيح :(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[1] .

قال تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾** ﴾ القصص: ٥٠.

- **التواصي بالحق والتواصي بالصبر.**

التواصي بالحق والصبر تبرز من خلالهما صورة الأمة المسلمة أو الجماعة المؤمنة وذلك الكيان الخاص والرابطة المميّزة ، والوجهة الموحّدة ، الجماعة التي تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها ، والتي تعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه من الإيمان والعمل الصالح ،فتتواصى فيما بينها بما يعينها على حمل الأمانة الكبرى .

والتواصي بالحق ضرورة لأن النهوض به عسير ، والمعوقات في سبيله كثيرة منها : هوى النفس ،ومنطلق المصلحة ،وضغوط البيئة ،وطغيان الظالمين ،وتربص المرجفين ، وحسد الحاسدين .

والتواصي يعين على كل ذلك ،وهو تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى في الهدف والغاية والأخوّة في تحمل العبء والأمانة ،فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية ، إذ تتفاعل معاً فتتضاعف ، وهذا هو الدين ،وهذا هو الحق لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية ،ومتكافلة ومتضامنة على هذا المثال وهذا النموذج .[2]

- أما التواصي بالصبر ،فهو كذلك ضرورة في هذا الطريق الطويل ،طريق الأنبياء والمرسلين ، والدعاة المصلحين ،فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل وبسط الخير ،من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ، فلا بد فيه من الصبر ، قال تعالى :﴿ **فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾** ﴾ الأحقاف: ٣٥.

والصبر جزاؤه جزيل ،وأجره عظيم .﴿ **قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾** ﴾ الزمر: ١٠

- **التعاون على البر والتقوى .**

التعاون هو أساس النجاح في الحياة ،فلا تسير الأمور بالأثرة وحب الذات ،والتعاون يخلق الإلفة والمحبة والتراحم بين الناس ،ويذهب العداوات ويزيل الشحناء والبغضاء ،والتعاون على البر هو أصل جماع الخير

---

[1] - رواه مسلم ،١٣٢/٥- برقم ٤٥٩٠

[2] - انظر:في ظلال القرآن، ص ٣٩٦٥

كله، فقد أمر الله به وأكد عليه فقال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢)﴾ المائدة: ٢ .وقال : ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ البقرة: ١٧٧

وإن التدبر هو الذي يثمر كل تلك القيم ويحيلها إلى سلوك ومعاملات تمشي بين الناس ،والتعاون أساس متين تبنى عليه الشخصية المسلمة العاملة المتواصية بالحق والصبر والمؤثِرة الخير للآخرين، والباذلة المعروف والإحسان في ود وتصاف وعفو ورضى .وأما التقوى ،فهي التشمير في طريق السير إلى الله باستقامة وبصيرة ،وهي إكسير حياة المؤمن الصالح العامل المتجرد المخلص لله عز وجل ، بها يحوز الرضوان ويتبوأ غرف الجنان ،ويرث الخير في دار البقاء والحياة السرمدية ،قال تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾ مريم: ٦٣ وقال : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤

فهذه هي الأسس والقواعد التي تبنى عليها الشخصية المسلمة وفقاً لعملية التدبر في كتاب الله المسطور والمنظور ،فماهي سمات تلك الشخصية ؟

هذا ما سنجيب عنه بتفصيل في المبحث الثالث .

المبحث الثالث :–

(سمات الشخصية المسلمة المرتجاة ،استناداً على إعلاء قيمة التدبر).

وقفنا في المبحث السابق على مفاهيم مهمة وبيّنا معنى الشخصية والمنهج والاستقامة ،والآن وقبل الدخول في تفاصيل تلك السمات وبسطها حري بي أن أقف على بيان تعريف مصطلح السمة ، فما هي السمة ؟

تعرف السمة بأنها: العلامة والصفة التي تميز الشيء عن الآخر، قال تعالى :﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ البقرة: ٢٧٣ وقال : ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)﴾ الأعراف: ٤٦ وقال تعالى عن المؤمنين المتبعين هديه : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ

فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩.

وإن سمات الشخصية المسلمة كثيرة وفيرة، فبحسب استقامتها وقربها من الله تكثر صفاتها الخيّرة وتبرز علاماتها النيّرة التي تميزها عن غيرها ،ولكن أهمها يتمثل في الآتي :

١–علمها بالله ورسوخ إيمانها به .

فالشخصية المسلمة المتدبرة لكلام الله تعالى إيمانها بالله راسخ لا يتزحزح مهما كانت المخاطر والخطوب ، وقلبها مليء بالثقة والتوكل على الله .

لأن الإيمان ليس ادعاء ، بل إقرار بالقلب واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان .قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الحجرات: ١٤ ، وثبات الإيمان وتمكُّنه من القلب المتدبر يجسده قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٣ ثم تأتي النتيجة والعاقبة لهم .كما قال تعالى في السورة نفسها: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٤

٢–لزوم طاعتها لله والاستقامة على منهجه .

ولزوم الطاعة تعني الحرص على أداء فرائض الله وفق ما شرع لأنها تمثل رأس مال العمل الصالح للعبد المؤمن المتدبر ،والحرص على ألا يفتقدك الله حيث أمرك ، وألا يجدك حيث نهاك ، ويمثل هذا جماع التقوى ،قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

٣– تعظيمها لشعائره .

وذلك باحترام وتوقير كتابه وسنة نبيه والعمل بهما في السراء والضراء ، والرضا عن الله بقدره و قضائه ،كل ذلك يحصل من المؤمن المتدبر وهو يستشعر عظمة الله وقدرته وعزته ،قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الحج: ٣٢.

٤– محبتها واتباعها لهديه .

المحبة ليست كلاماً يقال ،ولا ادعاء بغير فعال ، ولكنها عمل واتباع لما أمر به الخالق في كل تصرف يصدر عن المخلوق .قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ وقال في وصف عباده الذين يحبهم ويحبونه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ

مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤ .

وحلاوة الإيمان تدرك برسوخ محبة الله تعالى في قلب المؤمن المتدبر .

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم :(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ،وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ،كما يكره أن يقذف في النار)[1]، والحب في الله والبغض فيه من كمال الإيمان ، ولا يتحقق ذلك إلا بالصدق في الطاعة والانقياد للمحبوب ،كما قال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ** هذا محالٌ في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ** إن المحب لمن يحب مطيع.[2]

٥- مداومتها على الذكر والشكر .

إن العبد المؤمن المتدبر ليس بغافلٍ ولا لاهٍ ،وإنما هو في ذكرٍ متصلٍ دائمٍ وشكرٍ على آلاء الله ونعمه ،فالحياة عنده كلها لله عز وجل عبادة وقربة .قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾** ﴾ الأنعام: ١٦٢ وقال : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾** ﴾ الأحزاب: ٤١ - ٤٢ ،وإن التدبر يقود الشخص المسلم إلى شكر آلاء الله عليه لأنه صار من عباده العارفين بحقوق ربهم عليهم وهم قليل ،كما أخبر سبحانه و تعالى في قوله : ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾** ﴾ سبأ: ١٣

والشكر له مراتب لا يحققها إلا المتدبر وهي : أولاً : معرفة المنعم وتعظيم النعمة ، والأمر الثاني :الشعور والإحساس بالنعمة ، والأمر الثالث: المبادرة إلى إسداء هذه النعمة إلى الغير. وبالشكر تدوم النعم .

٦-إحسانها إلى الخالق والخلق .

ومن سمات الشخصية المسلمة إفراد خالقها بالعبادة الخالصة ، وإتقان العمل في أي مجال من مجالات الحياة ،ذلك لأن الله تعالى خلقنا للعبادة ولا يريد منا إلا إحسان العمل وإتقانه ، قال تعالى : ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾** ﴾ الملك: ٢ .

وإحسان العبادة هو الإخلاص فيها ، وإحسان العمل إتقانه وإجادته ومراقبة الله تعالى فيه .

---

[1] - رواه البخاري ١/١٠- برقم ١٦-كتاب الوحي،باب حلاوة الإيمان .

[2] - انظر :ديوان الإمام الشافعي ص ٥٨.

جاء في حديث جبريل الصحيح (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1]، وإن المؤمن الصادق الملتزم المتدبر لكلام ربه يحسن إلى كل الخلق ،إنسانه، وحيوانه، وجماده ،لأن كل هذه المخلوقات مسخرة له وبالتالي وجب عليه حسن التعامل معها حين الانتفاع بها ،قال سبحانه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الجاثية: ١٣.

لذلك يشمل الإحسان كل سلوك الإنسان حتى مع الحيوان ، قال صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء ،فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ،وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)[2]،وفوق هذا وذاك ، إحسان الظن بالله تعالى من كمال الإيمان .والمحسن حبيب إلى الرحمن قريب من رحمته ،قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة: ١٩٥ وقال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ٥٦

٧-عفتها واعتدادها بنفسها .

المسلم المستقيم على الحق يُعرف بعفته إذا استُثيرت شهوته ،وبعزته إذا استُفزت كرامته ،فهو عفيف اليد واللسان ، طاهر القلب والجنان ،لا يقبل الضيم والخذلان ،قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المنافقون: ٨ ،وقال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٩.وقال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤

وقال أحد الحكماء في شأن الاعتداد والاعتزاز بالنفس وعدم تقليد الغرباء :

كل من أهمل ذاتيتـــه فــهو** أولى النـــــاس طراً بالفنـاء
لن يرى في الدهر شخصيته **كل من قلد عيـــش الغـرباء

وروي عن الإمام الشافعي كلام نفيس عن أصحاب الهمم العالية ورافضي المذلة والانكسار للغير:

أمطري لؤلؤا جبال سرنديب **وفيضي آبار تكرور تبـرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتا**وإذا مت لست أعـدم قبـرا
همتي همت الملـوك ونفسي** نفس حـر ترى المذلة كفرا[3]

٨- صدقها وأمانتها .

---

[1] ١ - رواه البيهقي في سننه،١٠/٢٠٣- برقم٢٠٦٦٠

[2] ٢ - رواه مسلم ٦/٧٢- برقم ٥١٦٧.

[3] ٣ - انظر :ديوان الإمام الشافعي ص ٤٢.

الصدق قيمة ،والصدق حال ، والصدق أقوال وأفعال،وهو الذي يميّز أهل الإيمان من أهل النفاق ،وهو صفة وسمة تلازم المؤمن ولا تنفك عنه أبداً.

لذلك فهو من أخص خصائص المؤمن،وقد أمرنا الله تعالى بأن نكون في معية الصادقين ووعدنا بالمغفرة والأجر الكبير قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩: وقال:﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٥.

والصدق يقود إلى الجنة ،قال صلى الله عليه وسلم :(عليكم بالصدق ،فإنه مع البر وهما في الجنة ، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار ،)[1]

جاء في مدارج السالكين (الصدق هو سيف الله في أرضه ،ما وضع على شيء إلا قطعه،ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه ،من صال به لم ترد صولته ،ومن نطق به علت عند القوم كلمته ،فهو روح الأعمال ومحك الأحوال ، والحامل على اقتحام الأهوال ،وهو الباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال ،وهو أساس بناء الدين ،وعمود فسطاط اليقين ،ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين)[2]

٩- إيثارها بالخير للآخرين .

والإيثار خلق عظيم ،وسمة وخصلة مدح الله بها رب العالمين عباده الأنصار حين آووا،ونصروا إخوانهم المهاجرين ،فحريٌ أن يتصف بها المؤمن السالك درب الأولين .حتى يتق الشح والأنانية ويكون من المفلحين .

قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩

والمؤمن شعاره دائماً الإيثار، لا الأثرة ،يقدم ما عنده طلباً لثواب الله .

قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ الإنسان: ٨ - ٩ ،وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :(جاء رجل إلى رسول الله صلى الله

---

[1] ١ - من حديث رواه البخاري في الأدب المفرد،٢٥٣/١- برقم ٧٢٤

[2] ٢ - انظر :مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،٢٦٨/٢.للإمام ا بن القيم الجوزية

عليه وسلم فقال:إني مجهود-أصابه التعب من الجوع- ،فأرسل إلى بعض نسائه ،فقالت :والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ،ثم أرسل إلى الأخرى فقالت مثل ذلك ،حتى قلن كلهن مثل ذلك :لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :من يضيف هذا الليلة ؟،فقال رجل من الأنصار :أنا يا رسول الله ،فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته :هل عندك شيء ؟قالت : لا،إلا قوت صبياني ،قال:فعلليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوميهم ،وإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج،وأريه أنا نأكل،فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين ،فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)[1]

١٠- بالصبر تبلغ ما تريد .

ونختم هذه السمات الخاصة بالشخصية المسلمة بصفة الصبر والتي تمثل نصف الإيمان كله ،فحريٌ وجدير بالمسلم المتدبر أن يتحلى بها حتى يتذوق حلاوة القرآن التي شهد بها ذلك المشرك حينما استمع إلى القرآن فقال:(إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة)[2]،وإن الله تعالى قد ذكر الصبر في القرآن تسعين مرة، والصابرون هم المعتبرون بآيات الله كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) ﴾ الشورى: ٣٢ - ٣٣.

• ونختم هذه السمات للشخصية المسلمة المرتجاة ،بكلام نفيس للإمام الآجري الذي يقول في هذا الشأن :(إن المسلم عليه أن يتق الله في السر والعلن ،باستعمال الورع في مطعمه ومشربه ،وملبسه ومسكنه ،وأن يكون بصيراً بزمانه وفساد أهله ،فهو يحذرهم على دينه ،يكون مقبلاً على شأنه ،مهموماً بإصلاح ما فسد من أمره ،حافظا للسانه ،مميزاً لكلامه ،إن تكلم ،تكلم بعلم ،وإن سكت، سكت بعلم ،قليل الضحك ،لا يغتاب أحداً، وإن مزح قال حقاً ،باسط الوجه ،طيب الكلام ،لا يمدح نفسه بما فيه فكيف بما ليس فيه ؟،لا يحسد أحداً على نعمة ،ولا يشمت بمصيبة ،ولا يسيء الظن بأحد إلا لمن يستحق ،متواضع في نفسه ،إذا قيل له الحق قبله من صغير أو كبير ،يطلب الرفعة من الله لا من المخلوقين ،يؤدب نفسه بالقرآن ،ويكون له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً وحرزاً)[3]

•وأخيراً فإن المسلم الملتزم يتمثل تلك الصفات ،ولا يقرب أضدادها ، وإن زلّ أو نسي فيؤب ويرجع من قريب قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) ﴾ النساء: ١٧ ، ونختم هذه الرقائق بكلام قيّم للإمام بن حزم في

---

[1] – رواه مسلم ،٣/١٦٢٥- برقم ٢٠٥٤

[2] – هذه الكلمة قالها :(الوليد بن المغيرة،)فنزل فيه قوله تعالى:(فقتل كيف قدر ....)انظر :تفسير بن كثير،

[3] – انظر :أخلاق حملة القرآن .ص١٤٦،محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠) تحقيق د.محمد النقراشي .

مقارنات منطقية تستحق الوقفة والتأمل فقد قال رحمه الله:(إن طالب الآخرة مشبّه بالملائكة ،ليفوز بالرضوان والجنة ،وطالب الشر ،مشبه بالشياطين فمصيره النكال والجحيم ،

وطالب الجاه مشبه بالسباع المفترسة فمصيره الانقراض ،وطالب اللذات مشبه بالبهائم فمصيره ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾** ﴾ محمد: ١٢ ، وطالب المال لأجل المال فمشبه بقارون وأبي بن خلف ، ﴿ **يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾** ﴾ الهمزة: ٣ - ٤ ، والعاقل هو: المسلم التقي، القوي ،النقي، الذي لا يغتبط بصفة يتفوق فيها السباع والبهائم والجمادات ، وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة وحلبة القرآن وتدبر كلام الواحد الديان ، وهي الصفة التي يشارك فيها الملائكة كما ذكرنا ذلك في المقدمة، فكل من قوي إيمانه ،وحسن عمله ،واتسع علمه ،وكمل إخلاصه، وتميز بحسن خلقه، فليغتبط أيما اغتباط بذلك ،فإنه لا يتقدمه في هذه الوجوه الشريفة إلا الملائكة المقربين وخيار الناس المكرمين .[١]

فهنيئاً لمن كان هذا مقامه ،وبنى على تلك القيم شخصيته ،وصاغ على منهج التدبر سلوكه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنال الخيرات ،وبكرمه تُرفع الدرجات وبعفوه تُمحى الأوزار والسيئات، وبتوفيقه تُدرك الغايات، ثم الصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا محمد صاحب المعجزات ،وعلى أله وصحبه أولي النُّهى والمكرمات ،وعلى من سار على نهجهم واقتفى آثارهم إلى يوم الوقفة في العرصات ،

أما بعد .

فإن عملية التدبر منهج وسلوك مستمر، يسير مع المؤمن طوال رحلة حياته ،وما هذا المؤتمر إلا حلقة في محيط الخضم الهائل لأسرار القرآن وتدبر آيات الله في ملكه وملكوته ووحيه المسطور .

ومن خلال هذا الاستعراض لأثر تدبر القرآن الكريم في صياغة واستقامة الشخصية المسلمة المرتجاة قد توصلت إلى النتائج التالية .

نتائج البحث

١-إن عملية التدبر تقود حتماً- مع المداومة - إلى استقامة الشخصية المسلمة وتهذيبها ،لأن أحب الأعمال إلى تعالى أدومها وإن قلت .

٢-إن عملية التدبر مهمة للغاية بالنسبة للشخص المسلم وتنبع هذه الأهمية من الآتي :-

---

[١] - انظر :الأخلاق والسير في مداراة النفوس .ص ١٨- ١٩للإمام بن حزم .

- أن التدبر مأمور به من الله تعالى .
- أن التدبر يقود إلى زيادة الإيمان بالله عز وجل
- أن التدبر غاية في ذاته لأنه الثمرة الحقيقية لتلاوة القرآن . ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾ البقرة: ١٢١ وحق التلاوة المراد به في الآية الكريمة هو تحقيق التدبر .

٣-التدبر يعلي مرتبة العبد المؤمن عند معبوده، فالتفاضل والدرجات عند الله تعالى بثلاثة أمور:

أولها :العلم النافع . ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة: ١١

ثانيها :العمل الصالح : ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ ﴾ الأنعام: ١٣٢.

ثالثها :التقوى : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣ وكلها لاتُنال أو تتحقق إلا من خلال التدبر .

التوصيات :

أولاً:- العمل على تكثيف مخرجات فقه التدبر وذلك بالآتي

(أ)إنشاء قنوات تلفزيونية وإذاعية (fm) لبث فقه التدبر.

(ب)إصدار مجلة دورية أو صحيفة شهرية لعكس تجارب وأنشطة المجموعات والأفراد الذين يعيشون حياة التدبر .

(ج)عمل مطويات ونشرات في المناسبات الإسلامية تبصّر المسلمين بأهمية قراءة القرآن الكريم بالتدبر .

ثانياً:- العمل على إنشاء روابط اجتماعية، وثقافية ،وعلمية، في أوساط الشباب والطلاب والمرأة وخاصة(الناشئة)،وذلك بهدف غرس قيم التدبر والتفكر في الكتاب العزيز: وينشأ ناشئ الفتيان منّا*** على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجا ولكن*** يعوّده التّدين أقربوه

ثالثاً :-العمل على إنشاء وتأسيس فروع(للهيئة العالمية للتدبر) في كل الدول الإسلامية ،لاسيما وسط الأقليات والجاليات المسلمة في أوربا وأمريكا ، ودول الغرب عامة . والله الموفق والمستعان .

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. الأخلاق الفاضلة قواعدها ومنطلقاتها ،د. عبد الله بن ضيف الله ،ط/١٤١٧/١

٣. أخلاق حملة القرآن – محمد بن الحسين أبوبكر الآجري (ت ٣٦٠) ط/١٩٨٧م القصيم – بريده – المملكة العربية السعودية .

٤. الأخلاق والسير في مداراة النفوس،لابن حزم /ط٢/دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥

٥. تاج العروس – للفيروز أبادي ،ط١/ دار إحياء التراث العربي .

٦. تدبر القرآن ، – سليمان السنيدي ،ط/١ /٢٠٠١ ،الناشر مجلة البيان .

٧. تفسير القرآن العظيم – للحافظ بن كثير – دار المعرفة بيروت /١٩٨٣.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير الطبري،ط ١٤٢٠/٣،بيروت – دار الكتب العلمية .

٩. الجامع الصحيح – للإمام الترمذي ،تحقيق أحمد شاكر .

١٠. ديوان الإمام الشافعي .لأبي عبدا لله محمد بن إدريس الشافعي / جمع وتعليق :محمد عفيف الزعبي ط٣ – ١٩٧٤م دار الجيل بيروت –لبنان .

١١. زاد المعاد في هدي خير العباد – للإمام بن القيم – ط ١٤/ ١٤٠٧مؤسسة الرسالة

١٢. شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت) مواقع ومنتديات مختلفة .

١٣. صحيح بن حبان – ط ١، لبنان ، دار الكتب العلمية ،١٤٠٧.

١٤. صحيح مسلم –للإمام مسلم بن حجاج القشيري.

١٥. فتح الباري في شرح البخاري –للإمام بن حجر العسقلاني .

١٦. في ظلال القرآن – سيد قطب – مطبعة دار الشروق ،١٩٨٣.

١٧. قانون التأويل – القاضي أبوبكر بن العربي ،مؤسسة علوم القرآن – بيروت .

١٨. القرآن محاولة لفهم عصري – د.مصطفى محمود ،ط/٨ دار المعارف – القاهرة

١٩. الكشاف –للإمام أبي القاسم بن جار الله الزمخشري – دار الفكر .

٢٠. لسان العرب ، لابن منظور، ط ٣/ دار إحياء التراث العربي ،.

٢١. مدارج السالكين – لابن القيم ط/١ /١٩٩٩ .

٢٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي،ط ١٩٨٩/٢، تحقيق / عبد الرحمن فاخوري .

٢٣. مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة ،د.خالد اللاحم ،ط /١٤٢٥/١

٢٤. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة – للإمام السيوطي ، ط١، دار السلام – لبنان ، ١٤١١– تحقيق / عبد الرحمن فاخوري .

٢٥. نفحات ولفحات (شعر) أ .د. يوسف القرضاوي ، جمع وتقديم أ . حسني أدهم جرار، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة ط/١/١/٢٠٠١

٢٦. النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن – خليل محمد خليل ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢ .

إعداد: د. صالح سنين صالح يعقوب – أستاذ علوم القرآن والقراءات والتجويد(المشارك) جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم (مدني) ولاية الجزيرة – جمهورية السودان .
هاتف رقم :٠١٢٢٤٤٩١١٠ – البريد الإلكتروني:- www.sneen.com@gmail.com